تحليل فني لقصيدة (ويموت فينا الإنسان) للشاعر فاروق جويدة

إعداد

الباحثة/ عهود محسن حمود العتيبي

باحثة دكتوراه في الآداب تخصص/ اللغة العربية

كلية الآداب- جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام: ١١ / ٧/٢٠٢٢م

تاريخ القبول: ٢٤/ ٧/٢٠٢٢م

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة قصيدة حداثية للشاعر فاروق جويدة، التي تحمل عنوان "ويموت فينا الإنسان"؛ حيث تطالعنا في هذه القصيدة عدة مؤشرات دلالية. بدًء بالعنوان؛ الذي هو عبارة عن مركبين مرتبطين ببعضهما، (الإنسان، الموت)، هذا العنوان الذي يعد الإشكالية المبهمة للقصيدة، ويشكل متن النص المفتاح الذي يمكن من خلاله الوقوف على المعاني الكامنة في هذا النص. فالشكل الهندسي الخارجي للقصيدة، وكذلك التنويع في الروي والقافية يحيلنا إلى الاتجاه الفني والأدبي لهذه القصيدة.

الكلمات المفتاحية: تحليل فني، قصيدة ويموت فينا الإنسان، فاروق جويدة.

Abstract:

This research aims to study a modernist poem by Farouk Jweideh, a modernist Egyptian poet. The poem is entitled "And the Human Dies in Us". In this poem, we look at several significant semantic indicators, starting with the title, which is about two compounds linked to each other (man and death). This title, which is the enigmatic problem of the poem, forms the body of the open text, or the key with which it becomes possible to identify the meanings inherent in this text. The external geometric form of the poem, as well as the diversity in visions and rhyme refer us to the artistic and literary trajectoryof the poem.

Keywords: Technical analysis, Poem, Farouk Jowaida.

حاول النقاد قديمًا تقديم تصوّر عن الشعر ومفهومه، وقد ظهرت تلك المحاولة في تمييزه عن غيره من الأجناس الأدبية، من خلال الوزن والقافية بوصفهما عنصرين أساسيين للشعر يميزانه عن غيره من أشكال القول، ومن هنا جاء تعريفهم أن الشعر كلام موزون مُقَفًّى. لكن الباحث والدارس فيما كتبوه يلاحظ أن نظرتهم للشعر تتجاوز حدود الوزن والقافية إلى جوانب أخرى أوسع منها، وذلك من خلال دراستهم للشعر من خلال مقابلته مع الفنون الأدبية القولية الأخرى، فيتشكل بها؛ في إيجاد الأشكال الجميلة، وإن اختلف عنها في استخدام الأداة.

إلا أن اللغويين الروس المؤسسين لنظرية الشكلانية الروسية، ذهبوا إلى دراسة النص الأدبي من خلال شكله الخارجي؛ أي من خلال لغته وموسيقاه الخارجية والداخلية وأدوات الشاعر الفنية المستخدمة فيه، مستندين في ذلك على عنصر الرمز كأساس للفرضية والوصول إلى النتائج من خلال ثوابت لغوية شكلية في النص الأدبي، سواء كان هذا النص قصيدة أو مقالة أو قصة أو غير ذلك من الأجناس الأدبية الأخرى، ولعل هذا الرمز يشكل ما يشبه العلامة التي توضع لتحديد أساسيات البحث، وهذه العلامة "تحيل العلامة إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون يعتمد على الاتفاق العام بين الأفكار".[١]

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث في دراسة قصيدة حداثية للشاعر فاروق جويدة، التي تحمل عنوان "ويموت فينا الإنسان"؛ حيث تطالعنا في هذه القصيدة عدة مؤشرات دلالية. بدءً بالعنوان؛ الذي هو عبارة عن مركبين مرتبطين ببعضهما، (الإنسان، الموت)، هذا العنوان الذي يعد الإشكالية المبهمة للقصيدة، ويشكل متن النص المفتاح الذي يمكن من خلاله الوقوف على المعاني الكامنة في هذا النص. فالشكل الهندسي الخارجي للقصيدة، وكذلك التنويع في الروي والقافية يحيلنا إلى الاتجاه الفني والأدبي لهذه القصيدة.

- **بنية القصيدة:** إن أول ما يمكن الإشارة إليه من خلال قراءة متأنية في القصيدة هو أنها قصيدة متعددة المواضيع؛ متحدة الهدف، مقاطعها البنيوية الشعرية تشكل مراحل مهمة في حياة الشاعر. فمن خلال ملاحظتنا للقصيدة يمكننا تقسيمها إلى وحدات دلالية ثلاث، يتناول الشاعر من خلالها مواضيع مختلفة، تتراوح بين الطفولة، والشباب، والرجولة. ولعل الوقوف بداية على هذه المراحل العمرية الثلاث يحدد لنا العلامة الأولى في تحليل النص، فكانت على الشكل التالي:

المرحلة الأولى: الطفولة: منذ بداية القصيدة، حيث يقول الشاعر:

وتركت رأسي فوق صدرك
ثم تاه العمر مني في الزحام
فرجعت كالطفل الصغير
يكابد الآلام في زمن الفطام
والليل يلفح بالصقيع وجوهنا
ويبعثر الكلمات منا.. في الظلام

ومن ثم يربط الشاعر كل المراحل السابقة بالطفولة التي عاشها في حضن أمه، ولعله يقيم مقارنة ما بين الطفولة الماضية الغابرة والحياة الحالية الحاضرة؛ ليصل في نهاية المطاف إلى السبب الرئيس لحل إشكاليته، ولنحل معها إشكالية العنوان من خلال بنية النص الشكلية القائمة على الوحدة الهندسية.

المرحلة الثانية: الشباب: التي غالبًا ما ترتبط بمحورين؛ أولًا بالغربة (الداخلية النفسية، والخارجية الحقيقية)، وثانيًا بالحب، وإذ أن الشاعر يشير إلى هذين المحورين، فإنه يربط هذه المرحلة – أيضًا – بالأم، لكنه يوصف لنا معاناة الغربة، ومشاقها، وبدايتها، منذ لحظات وداع أمه له، فيقول:

وتلعثمت شفتاك يا أمي.. وخاصمها الكلام

ورأيت صوتك يدخل الأعماق يسري في شجن

والدمع يجرح مقلتيك على بقايا من زمن

قد كان آخر ما سمعت من الوداع:

الله يا ولدي يبارك خطوتك

الله يا ولدي معك

ثم يتابع الشاعر في توصيف هذا المشهد الحزين الذي يبدو أنه كان ذا أثر كبير في حياة الشاعر، فيصف المكان والزمان والمحيط الخارجي لهذه الحادثة؛ حادثة الانفصال عن الأم الوطن، فيقول:

وتعانقت أصواتنا بين الدموع

والشمس تجمع في المغيب ضياءها بين الربوع

والناس حولي يسألون جراحهم

فمتى يكون لنا اللقاء؟

وتردد الأنفاس شيئًا من دعاء

ونداء صوتك بين أعماقي يهز الأرض..

يصعد للسماء

الله يا ولدي معك

ومضيت يا أمي غريبًا في الحياة

كم ظل يجذبني الحنين إليك في وقت الصلاة

كنا نصليها معًا

إذ إن هذا الرحيل واضح المعالم من خلال إشارات وضعها الشاعر في قصيدته؛ ففي قوله: (والشمس تجمع في المغيب ضياءها بين الربوع) دلالة على أن الزمن؛ زمن البداية، كان في فصل الربيع قبيل غروب الشمس، وأنه كان مسافرًا مع مجموعة من الناس وليس وحيدًا، في قوله: (والناس حولي يسألون جراحهم، فمتى يكون لنا اللقاء؟).

يبدأ الشاعر بالحب والحديث عن هذا الحب الذي حاول أن يطبقه على الناس من حوله أثناء غربته؛ إذ كان ذاك السلام والحب والثقة بالخير هي المبادئ التي تربى عليها وتعلمها من أمه، رابطًا السلام بالحب فيقول:

قد كان أول ما عرفت من الحياة

أن أمنح الناس السلام

في إشارة إلى التربية الصالحة التي نشأ عليها الشاعر، والمبادئ الصالحة التي أقامته أمه عليها. لكن الشاعر ما يلبث أن يدرك أن هذا السلام الذي نشأ عليه لا يصلح في التعامل مع البشر في الغربة، فيقول:

لكنني أصبحت يا أمي هنا

وحدي غريبًا في الزحام

لا شيء يعرفني ككل الناس يقتلنا الظلام

فالناس لا تدري هنا معنى السلام

يمشون في صمت كأن الأرض ضاقت بالبشر

والدرب يا أمي مليئ بالحفر

فهذا الحال يسبغه الشاعر على كل الناس الذين يراهم، لا أحد منهم يحتك بالآخر، ولا أحد مهتم بمعرفة أحوال الغير في محيطه.

ثم يأتي إلى الحب والتحديات التي واجهته في حبه الأول، بعد الحب الطاهر الذي أقام في صدره لأمه، فيقول:

وعرفـــت بعـــد كـــل ألـــوان الهـــوى

وتحطمـــت نبضـــات قلبـــي ذات يـــوم

عنـــــــدما مـــــــات الهـــــــوى

ورأيـــت أن الحـــب يقتـــل بعضـــه

فنظـل نعشـق ثـم نحـزن ثـم ننسـى مـا مضـى

ونعـود نعشـق مثلمـا كنـا ليسـحقنا الجـوى

لكـن حبـك ظـل فـي قلبـي كيانًـا لا يـرى

قـد ظـل فـي الأعمـاق يسـري فـي دمـي

وأحـــس نـــبض عروقـــه فـــي أعظمـــي

كان يظن أن كل الحب يخضع لنفس المعايير التي يقوم عليها حب الأم، فيقول مقارنًا ومبديًا المفارقة، في سعي منه للدلالة على مدى الصدق الذي يحتوي عليه الحب الأول؛ حب الأمومة. ثم يسعى في توصيف هذا الحب الذي عصف بالمجتمع، وكيف أصبح يراه في أعين الناس، وفي مشاهد حياتهم اليومية؛ ليصفه لها مستنكرًا ومشدوهًا به، فيقول:

فالحـب يـا أمـي هنـا كـأس وغانيـة وقصـر

الحـب يـا أمـي هنـا حفـل وراقصـة ومهـر

مـن يـا تـرى فـي الـدرب يـدرك

أن الحـب فـي العطـاء

الحب أن تجد الطيور الدفء في حضن المساء

الحب أن تجد النجوم الأمن في قلب السماء

الحـب أن نحيـا ونعشـق مـا نشـاء

المرحلة الثالثة: الرجولة التي احتواها المقطع الأخير من القصيدة، والذي كان أقصر المقاطع في النص؛ إذ إن الشاعر حينما كتب القصيدة كان في طور هذه المرحلة، فكان توصيفه له قصيرًا إلا أنه كثيف المعنى، فيقول:

أمـاه .. يـا أمـاه

مـا أحـوج القلـب الحـزين لـدعوة

كـم كانـت الـدعوات تمنحنـي الأمـان

قـد صـرت يـا أمـي هنـا

رجـلًا كبيـرًا ذا مكـان

وعرفـت يـا أمـي كبـار القـوم والسـلطان

لكننـي.. مـا عـدت أشـعر أننـي إنسـان!!

من خلال المرحلتين السابقتين لمرحلة الرجولة، يضعنا الشاعر أمام سيرة حياته، والأسباب التي أوصلته إلى موت الإنسان في داخله، فكانت الأسباب في ما ذكر:

- في الغربة ومشاقها.
- في الوحدة.
- في انعدام السلام.
- في عدم صدق الحب.

وإننا من خلال هذا العرض التفصيلي لبنية القصيدة، في تحديد مقاطعها، نستطيع أن نحدد القاسم المشترك بين هذه المراحل الثلاث هو ذاك الحب والشوق والحنين الذي يضمره الشاعر لأمه.

- **وحدة الغرض في القصيدة:** كما أننا نرى أن الشاعر جعل مفتاح الإشكالية التي كانت هي العنوان للقصيدة، في الشطر الأخير من القصيدة، فالعنوان كان: "ويموت فينا الإنسان" فجاء الشطر الأخير: "لكنني ما عدت أشعر أنني إنسان". فكان عدم الشعور بالإنسانية الفطرية، مقابلًا لموت هذا الإنسان في نفس الشاعر؛ ليكون النص وحدة كاملة لا يمكن الفصل بين مقاطعها؛ مما يؤكد لنا على وحدة الغرض من القصيدة بالهدف الذي تسمو إليه أبياتها، وكأنها بنية هندسية تضيع معالمها إن ضاع أحد تفصيلاتها.

ولعل المفردة التي تواتر ذكرها في أغلب بدايات المقاطع الشعري؛ "أمَّاه"، دلالة على إصرار الشاعر على الربط بين كل مواضيع القصيدة بالهدف الأساس السامي الذي نشيده (الأمومة)، والذي جعله المحور الأساس للقصيدة، في إشارة منه إلى أن الحقل الدلالي الأول الذي تشكله الأمومة، هو الأساس الذي لا تنفصل عنه باقي الحقول الدلالية في القصيدة ككل.

– **كثافـة المعنـى:** حيث إن الشاعر يحشد المعاني في متن قصيدته حشدًا واعيًا، مستخدماً أقل ما يمكن من ألفاظ؛ للإشارة إلى المعنى الذي يرمي إليه، ومن ذلك:

(وتركتُ رأسي فوق صدركثم تاه العمر مني.. في الزحام)

يبدأ الشاعر قصيدته بحرف (الواو)، فهل هذه الواو استئنافية أم عاطفة؟ فلنا أن نقدر افتراضيًا ومن باب الرمزية أن هذه الواو ربما هي واو العطف؛ إذ إن الشاعر يلخص في هذين السطرين ملحمة سيعيشها لاحقًا في قصيدته، وكأن الشاعر يعطي هذه الواو دلالة خاصة بها، تنبهنا إلى كلام سابق لها، فمتى ترك الشاعر رأسه فوق صدر أمه الحنون، وبعدها يأتي الشاعر بـ (ثم)؛ حرف للعطف والترتيب ولكن مع التراخي في الزمن بين المعطوف والمعطوف عليه، ولعلها دلالة على أن حرف الواو هو للعطف لا للاستئناف. وأن هناك كلامًا كثيرًا قد سبق هذه الواو، مراحل عمرية وتجارب من الحنان في كنف هذه الأم. فهذه الكثافة في المعنى التي تحملها (الواو) قلما يستطيع شاعر أن يأتي بها؛ إذ اختصر الشاعر الألفاظ لدرجة الصفر، بحرف واحد، فجاء النص غنيًا بهذه المعاني منذ بدايته.

ولعلنا إذ دققنا على مفردة "الزحام" التي أوردها الشاعر في بداية قصيدته، وكيف انتقل مباشرة من صدر الأم إلى الزحام، كيف انتقل من الطفولة إلى الرجولة، كيف لخص كل القصيدة في شطرين؛ هما بداية القصيدة، واستمر بها ليشرح معنى هذا الزحام، فيقول لاحقًا:

لكننـــــي أصـــــبحت يـــــا أمـــــي هنـــــا

وحـــــــدي غريبًـــــــا فـــــــي الزحـــــــام

مشيرًا إلى أن الزحام المقصود ما هو إلا الواقع والمحيط الاجتماعي الذي يعيشه، أو تلك المشاعر المتناقضة التي تنطوي عليها ذاته، بشكل خاص عندما أقام

المقارنة بين مشاعره الفطرية وما يراه من أساليب التعامل مع الواقع والحياة في مشاعر الآخرين، رادها جميعًا إلى المقارنة مع الأم وحنانها.

- **اللغة المجازية والصورة الشعرية:** إن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. وهو كل مفردة أو تركيب انتقل عن معناه الأصلي، واستعمل في معنى مناسب له. فهو وسيلة بيانية تكثر في كلام الناس، البليغ منهم وغيرهم؛ مما يعطي الكلام بلاغة وجمالية في الشكل.

وتشكل اللغة المجازية خطًا أساسيًا في قصيدة الشاعر جويدة من خلال المفردات البسيطة التي حمّلها الشاعر طاقات عالية من المعاني، من غير أن يؤثر ذلك على جمالية وبساطة التركيب، بل زاده جمالية، ونجد ذلك في قول الشاعر:

وتلعثمت شفتاك يا أمي.. وخاصمها.. الكلام

كيف صوّر الشاعر جويدة هذه الشفاه الحزينة الصامتة التي أربكها وأسكتها الفقد والرحيل، وكيف أن هذا الكلام قادر على مخاصمتها، وفي ذلك إشارة من الشاعر إلى الكلام الفطري؛ فمن يخاصم يكون هو القادر على الحضور دون عناء أو مشقة؛ حضور بالفطرة، وهكذا هو كلام الأم، بسيط وعلى فطرته، إلا أنه خاصم شفتيها، وأبى الحضور في الرحيل منذ نابت عنه الدموع والزفرات، حين يقول الشاعر جويدة:

وتعانقت أصواتنا بين الدموع

كيف أن الشاعر استعار صفة العناق التي هي من خصائص الكائنات الحية، وتغلب على البشر، وأسبغها لشيء غير مرئي ألا وهو الصوت، فكانت استعارة مكنية أجاد الشاعر في استخدامها وتوظيف معانيها القريبة والبعيدة. كما أن الشاعر يأتي بالكنايات والاستعارات التي تحمل معاني كثيفة، فيقول:

فالحـب يـا أمـي هنـا كـأس وغانيـة وقصـر

الحـب يـا أمـي هنـا حفـل وراقصـة ومهـر

يـا مـن تـرى فـي الـدرب يـدرك

أن فـي الحـب العطـاء

الحب أن تجد الطيور الدفء في حضن المساء

الحب أن تجد النجوم الأمن في قلب السماء

الحـب أن نحيـا ونعشـق مـا نشـاء

موازنة ومفارقة واضحة بين حب الأمومة والحب في المجتمع، حاول الشاعر أن يبينها من خلال التصوير. كما أن الشاعر حمّل هذا المقطع الشعري الكثير من المعاني السامية للحب، مستخدمًا في ذلك إيقاعًا موسيقيًا ظاهريًا يجبر المتلقي على سماعه والاستمتاع به. فالشاعر كالطير الذي لا يجد الدفء إلا في حضن المساء، ذاك الحضن الذي وازاه الشاعر واستذكر به حضن أمه، فشبه نفسه بالطير وشبه حضن أمه بحضن السماء. كما أن النجوم التي تجد الأمن في قلب السماء، كناية عن الأمن الذي يجده الشاعر في قلب أمه.

فالإيقاع مرتبط بالمجال المعرفي أو السياق الدلالي الذي يظهر فيه؛ إذ إن الإيقاع في الشعر يرتبط بالعروض والإنشاد، وتغيره مرتبط باللغة والقافية والعروض. وحيث إن قصيدة الشاعر مبنية على تفعيلة بحر الكامل وغير ملتزمة بقافية واحدة، فقد كان استحضاره للإيقاع من الصعوبة بمكان، إلا أنه استطاع توظيف اللغة؛ لتكون مدخل الإيقاع وأساسه. ففي اللغة يكون الإيقاع في جماليات اللغة أصعب تحديدًا من الإيقاع في الشعر، وهو في الغالب مستمد منه، وتعريفه غير مضبوط.

فالنص الشعري يشكل وحدة لغوية مترابطة الألفاظ عند الشاعر جويدة، ولعل هذه هي المهمة التي قام عليها نصه، إلا أنه استطاع أن يجعل المعنى الأساس الذي ينبثق عنه الإيقاع، متوازيًا مع اللغة، وكما قيل: فإن المهمة التي ينهض بها الإيقاع في تشكيل البنية الهيكلية للنص الشعري يجب أن لا تصدر عن حركة خارجية إنما تنبع من الداخل كضرورة تعبيرية[٢]. وناهيك عن هذا الإيقاع الفريد من نوعه، فإن الشاعر قد لجأ إلى التراكيب المتوازنة في التعبير والكتابة، في عدد الكلمات والتضاد والطباق والجناس.

المعجم الدلالي:

أما على مستوى المعجم الدلالي للقصيدة فنلاحظ أنها تحتوي على حقلين دلالين هما:

١- **حقل الأمومة ومتعلقاتها:** وتعددت الألفاظ التي تدل على الأمومة بشكل مباشر، ومنها: "**صدرك، كالطفل الصغير، الفطام، يا أمي، يا ولدي، يا ولدي، يا ولدي، يا أمي، والدرب يا أمي، وكبرت يا أمي، لكن حبك، أماه، فالحب يا أمي، الحب يا أمي، أماه يا أماه، صرت يا أمي، وعرفت يا أمي**".

فقد وردت كلمة الأم بشكل صريح في النص (١١) مرةً، ووردت كلمة الحب في النص (٨) مرات، وكان عدد المفردات التي تتناول الحب ومرادفاته (٢٦) مرة، هي على الشكل التالي: "**شجن، الحنين، السلام، السلام، الهوى، الهوى، الحب، نعشق، نعشق، الجوى، حبك، فالحب، الحب، الحب، العطاء، الحب، الدفء، حضن، الحب، الأمن، الحب، نحيا، نعشق، القلب، الأمان، إنسان**".

كما أن الشاعر كان يشير إلى هذه الأم من خلال إشارات خفية مرتبطة بها، ومن ذلك: "**ورأيت صوتك يدخل في الأعماق يسري في شجن، تعانقت أصواتنا، فمتى**

يكون لنا اللقاء، ونداء صوتك، الحنين إليك، كنا نصليها معاً، قد كان أول ما عرفت من الحياة، أن أمنح الناس السلام، فنظل نعشق، ونعود نعشق، لكن حبك، يسري في دمي، نبض عروقه في أعظمي، من يا ترى في الدرب يدرك أن في الحب العطاء، الحب أن تجد الطيور الدفء في حضن المساء، الحب أن تجد النجوم الأمن في قلب السماء، ما أحوج القلب الحزين لدعوة، كانت الدعوات تمنحني الأمان"

حقل الغربة ومتعلقاتها: ويمكن لنا أيضا أن نرصد هذا الحقل الدلالي من خلال العبارات والألفاظ الآتية: "**وتركت، تاه العمر مني، في الزحام، يكابد الآلام، الليل يلفح بالصقيع رؤوسنا، ويبعثر الكلمات منا، في الظلام، وتلعثمت شفتاك، وخاصمها الكلام، في شجن، والدمع يجرح مقلتيك، آخر ما سمعت، مع الوداع، الله يا ولدي يبارك خطوتك، الله يا ولدي معك، بين الدموع، في المغيب، يسالون جراحهم، فمتى يكون لنا اللقاء، تردد الأنفاس شيئًا من دعاء، يهز الأرض، يصعد للسماء، اللهي يا ولدي معك، ومضيت يا أمي، غريباً في الحياة، يجذبني الحنين، كنا، وحدي غريباً، في الزحام، لا شيء يعرفني، يقتلنا الظلام، لا تدري معنى السلام، يمشون في صمت، ضاقت بالبشر، مليء بالحفر، تحطمت نبضات قلبي، مات الهوى، الحب يقتل بعضه، ثم نحزن، ثم ننسى ما مضى، ليسحقنا الجوى، ضاع الدرب مني، ما أثقل الأحزان، ما أشقى التمني، من يا ترى في الدرب يدرك أن في الحب العطاء، ما أحوج القلب الحزين لدعوة، ما عدت أشعر أنني إنسان".**

نلاحظ هيمنة الحقل الثاني على الحقل الدلالي الأول، كما أن سيطرة الحقل الدلالي الثاني الذي هو الغربة قد امتدت على كامل القصيدة من بدايتها إلى نهايتها، ولا غرابة في ذلك؛ لأن الشاعر يصوّر لنا هذه الغربة بعد أن خاض فيها وعانى منها، مقارناً لها بحنان الأم وصدق مشاعرها.

يمكن لنا أن نلاحظ أن هذه القصيدة تقوم على الثنائيات الضدية، والتي تركزت أكثر شيء بين الوطن والغربة، والخيط الذي يصل بينهما هو الشوق والحنين؛ إذ إن الشاعر قد أشار إلى أن الأم هي الوطن الأصلي لأبنائها، وإن كان لم يشر إلى ذلك صراحة، إلا أن كل الألفاظ التي أوردها والتي أحصيناها تؤكد صحة ما افترضناه وما ذهبنا إليه.

القصيدة:

وتركـــــت رأســـــي فـــــوق صـــــدرك

ثـــم تـــاه العمـــر منـــي.. فـــي الزحـــام

فرجعـــــــت كالطفـــــــل الصـــــــغير..

يكابـــــد الآلام فـــــي زمـــــن الفطـــــام

والليـــــل يفلـــــح بالصـــــقيع رؤوســـــنا

ويبعثـــر الكلمـــات منـــا.. فـــي الظـــلام

وتلعثمت شفتاك يا أمي.. وخاصمها.. الكلام

ورأيت صوتك يدخل الأعماق يسري.. في شجن

والدمع يجرح مقلتيك على بقايا.. من زمن

قد كان آخر ما سمعت مع الوداع:

الله يـــــا ولـــــدي يبـــــارك خطوتـــــك

الله يـــــــا ولـــــــدي معـــــــك

* * *

وتعانقـــت أصـــواتنا بـــين الـــدموع
والشمس تجمع في المغيب ضياءها بين الربوع..
والنـــاس حـــولي يســـألون جـــراحهم
فمتـــى يكـــون لنـــا اللقـــاء؟
وتـــردد الأنفـــاس شـــيئا مـــن دعـــاء
ونداء صوتك بين أعماقي يهز الأرض.. يصعد
لســـماء:
الله يـــا ولـــدي معـــك..
ومضـــيت يـــا أمـــي غريبـــا فـــي الحيـــاة
كم ظل يجذبني الحنين إليك في وقت الصلاة..
كنـــا نصـــليها معـــا

* * *

أمـــاه..
قـــد كـــان أول مـــا عرفـــت مـــن الحيـــاة
أن أمـــنح النـــاس الســـلام
لكننـــي أصـــبحت يـــا أمـــي هنـــا
وحـــدي غريبـــا.. فـــي الزحـــام..
لا شـــيء يعرفنـــي ككـــل النـــاس يقتلنـــا الظـــلام
فالنـــاس لا تـــدري هنـــا معنـــى الســـلام

يمشون في صمت كأن الأرض ضاقت بالبشر..

والـــدرب يـــا أمـــي.. ملـــيء بـــالحفر..

وكبـــرت يـــا أمـــي.. وعانقـــت المنـــى

وعرفـــت بعـــد كـــل ألـــوان الهـــوى..

وتحطمت نبضات قلبي ذات يوم عندما مات

لهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوى..

ورأيـــــت أن الحـــــب يقتـــــل بعضـــــه

فنظل نعشق.. ثم نحزن.. ثم ننسى ما مضى

ونعود نعشق مثلما كنا ليسحقنا.. الجوى

لكن حبك ظل في قلبي كيانًا.. لا يرى

قد ظل في الأعماق يسري في دمي

وأحـــس نـــبض عروقـــه فـــي أعظمـــي

أمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــاه..

مـــا عـــدت أدري كيـــف ضـــاع الـــدرب منـــي

ما أثقل الأحزان في عمري و ما أشقى التمني..

فالحب يا أمي هنا كأس.. وغانية.. وقصر

الحب يا أمي هنا حفل.. وراقصة.. ومهر

مـــن يـــا تـــرى فـــي الـــدرب يـــدرك

أن فـــــــي الحـــــــب العطـــــــاء

الحب أن تجد الطيور الدفء في حضن.. المساء
الحب أن تجد النجوم الأمن في قلب السماء
الحب أن نحيا و نعشق ما نشاء..

* * *

أماه.. يا أماه
ما أحوج القلب الحزين لدعوة
كم كانت الدعوات تمنحني الأمان
قد صرت يا أمي هنا
رجلًا كبيرًا ذا مكان
وعرفت يا أمي كبار القوم والسلطان..
لكنني.. ما عدت أشعر أنني إنسان[٣]!!

الهوامش

[١] سيزا قاسم: مدخل إلى السيميوطيقا، دار الياس العصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٣٤.

[٢] د. عزيز الحسين، شعر الطليعة في المغرب، منشورات عويدات، ط١- ١٩٨٧م- بيروت.

[٣] موسوعة الشعر العالمي، شبكة الإنترنت.

المصادر والمراجع

١- **أدب الموسوعة العالمية للشعر العربي، شبكة الإنترنت:(http://www.adab.com/)**

٢- سيزا قاسم: مدخل إلى السيميوطيقا، دار الياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦.

٣- عزيز الحسين، شعر الطليعة في المغرب، منشورات عويدات، ط١- ١٩٨٧- بيروت.